## الأدب المقارن الإسلامي:

كثيرا ما تطرح أسئلة حول مدى تأثير الذين والشرائع في الإبداع الفني، فقد كان تطور الفن يعتمد في بعض عصوره على تجارب الإنسان الدينية، ألم ينحت الإغريقي آلهته؟ ألم يرسمها في أجمل هيئة؟ فالدين بهذا يغذي موضوعات الفن، ونجد دليلا آخر على تعالق الفن بالدين في تحف عصر النهضة فنية، كأعمال مايكل أنجلو ودافنشي ورافييل وغيرهم، وكان للأدب نصيب من هذا التجاذب ولا يزال، حيث تختلف الأراء هو جدية تفاعله مع الدين من عدم الحاجة إليه، كما يقول الألماني ليسينغ، الذي اعتبر الآثار الفنية المعبرة عن قيم دينية أدوات مساعدة للدين وليست بالأعمال الفنية في شيء، ويقود هذا الحديث إلى الإسلام وموقفه من الأدب، حيث كان الشعر وسيلة للدفاع عن الإسلام والتغني بقيمه، واتخذ الأدب بمصدريه النثر والشعر من هذه القيم مادته، التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حدٍّ سواء، حتى صار يسمى بالأدب الإسلامي، ونحن في هذا المقام نضيف إليه صفة مقارن، لنطرح الإشكال المزدوج هل هناك أدب إسلامي؟ وكيف يكون الأدب المقارن إسلاميا؟

### 1-الأدب الإسلامي:

ربط بالإسلام أنواع عديد من الإنتاج العلمي؛ كالطب فقيل الطب الإسلامي أو الكيمياء، فكانت إسلامية، لكن هذه التسميات ذات علاقة بالحضارة الإسلامية والبلاد الإسلامية، وليست بالضرورة ذات علاقة بكتاب المسلمين المقدس، وسنن رسول الله(ص)، لكن الأمر مختلف بخصوص فنون الأدب، فمصدرها الوجدان يتأثر عدة مؤثرات خاصة الروحية منها والدين في مقدمتها، لهذا علينا أن نعرف الأدب الإسلامي؟ قبل إخضاعه للمقارنة؟ هل هو ما كتبه المسلمون حول قضايا دينهم؟ أم هو ما أبدعه العرب في العصر الإسلامي؟ أم هو ما أبدع المسلمون أينما كانوا وكيفما كانت لغتهم؟

***أ-الاحتمال الأول:*** جاء أن :«**هناك من يرى أن الأدب الإسلامي هو الإنتاج الأدبي الذي يحمل رسالة عقدية ويدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى مجتمع إسلامي**

**فاضل بغض النظر عن اللغة»**[1]، ويفهم منه تسخير الأدب لخدمة الإسلام، وتوضيح شريعته، ولا يبدو فيه اهتمام بالشكل الفني ولا باللغة الفنية وجمالها، لان الهدف فيه هو خدمة الإسلام، أي قولبت أمور العقيدة في قالب الأدب والتركيز على المحتوى الداعي للإسلام والمدافع عنه.

***ب-الاحتمال الثاني:*** يخلص إلى أن الأدب الإسلامي هو عصر من عصور الأدب العربي، جاء بعد ظهور الإسلام، كان الشعراء والخطباء فيه يدعون إلى ترك عادات الجاهلية، والتحلي بأخلاق الإسلام، حتى جاء في القرآن:﴿ **الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون**﴾[2]، لكن القرآن الكريم استثنى المؤمنين من الشعراء، كان أغلب شعراء هذا العصر من المخضرمين، يبدعون بطريقة العرب المعروفة، ويبدو في هذا التعريف تصنيف تاريخي يقصر الأدب الإسلامي في عصر دون بقي العصور، والأدب العربي دون غيره من اللغات.

***ج-الاحتمال الثالث:*** ربط الأدب الإسلامي بشعوب إسلامية بغض النظر عن العصر واللغة والحدود السياسية، يقول الطاهر أحمد مكي معرفا الأدب الإسلامي:« **إنما هو ما أبدعه المسلمون أيان كانوا، وأيا كانت لغتهم، فقد انتشر الإسلام في مناطق مترامية الأطراف تختلف مناخا وأعراقا، ويتباين أهلوها لونا وحضارة»**[3]، وهو تعريف لا يحصر الأدب الإسلامي برقعة جغرافية، ولا بحدود سياسية أو لغوية، ومن هذا يصبح الأدب الإسلامي جامع لمجموعة من النصوص المختلفة اللغة والثقافة ولكن دين كتابها "الإسلام" ، وجاء عند عبد المجيد حنون:« **هو الإنتاج الأدبي الذي أنتجه المسلمون في مختلف أنحاء العالم، بغض النظر عن لغة الإنتاج والأشكال الأدبية ومضامينها، عملا بمنطق نسبة الأدب إلى أصحابة وليس لغته كما هو الشأن مع الأدب الأمريكي أو الهندي أو الإفريقي...إلخ»**[4]، فقد انتشر الإسلام في البلاد المترامية الحدود المختلفة في الطبيعة والمناخ والعرق والعادات، وحدة الإسلام بين قلوبهم وأقام رابطة فكرية بينهم، أذاب التباين بين الجماعات المختلفة سابقا، ووحد مصدر ثقافتهم "الإسلام.

---

-حنون(عبد المجيد): العرب والأدب المقارن، ميم للنشر الجزائر، ط1، 2018، ص 1.88

- الشعراء(الآية 224).2

3-أحمد مكي (الطاهر): مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة مصر، ط 1، 1994، المقدمة ص 3.

4 - حنون(عبد المجيد): العرب والأدب المقارن، ص88.

مع مرور الزمن نمت هذه الثقافة المشتركة إلى جانب علوم الدين، ونشأ أدب إسلامي :« **نقاط اللقاء بين ألوانه كثيرة والمشابهات وفيرة، والعناية بها لا تقف عند المتعة بها، وإنما تقدم لنا ملامح صادقة عن الشعوب المختلفة التي اتخذت الإسلام دينا**»[1]، فهو على هذا إسلامي المحتوى لكنه في كل بيئة يتلون بلون وفي كل لغة يكتسي بزي، وفي كل عصر يتخذ قالبا، يملك خصائص مشتركة ومجالات تلاق، تجتث فيه العصبيات العرقية، وفيه نواحي اختلاف، ويبدو هذا التعريف أقرب إلى روح المقارنة، لما فيه من نبذ للفروق العرقية واللغوية، ومساواة بين آداب الشعوب الإسلامية مهما اختلفت البلاد والأزمنة، فكيف كانت نظرتهم بكل هذه الاختلافات للشيء الواحد؟

## 2- الأدب المقارن الإسلامي:

هي كتابات بل دراسات محور اهتمامها المقارنة بين الآداب الإسلامية المختلفة، أي دراسة مقارنة ذات طابع إسلامي، ومادتها الخام هي الأدب الإسلامي المتعدد الأعراق واللغات:« **يدعو إلى دراسة آداب الشعوب الإسلامية من حيث مصادرها الثقافية الإسلامية الأساسية وتفاعلها مع خصوصياتها اللغوية والعرقية والبيئية في مواجهتها للحياة بغية معرفة.[....] الهدف المتوخى هو معرفة الأنا من خلال تفاعله مع الآخر، فالتركيز هنا يدور حول آداب مختلفة اللغات والأعراق والبيئات إلا إنها تشترك في مصدر جوهري يضبط حياه أصحابها ويتحكم فيها ويلون آدابها وهو الإسلام، ثم حول العلاقات القائمة فيما بينها إن وجدت**»[2]، ومن هذا نعرف أن هذا النوع من الدراسات في صميم المقارنة، فهو يعنى أولا بالقواسم المشتركة بين آداب مختلفة اللغة والبيئة، آداب تملك مصدر إلهام مشترك هو "الإسلام"، ثم تدرس تفاعل الأنا المسلم مع الآخر المسلم أيضا، لكنه المختلف في اللغة والعرق، وبعد هذا تدرس سبل التأثير والتأثر بين هذه الشعوب التي وحدها الإسلام.

## 3-الدراسات المقارنة الإسلامية عند العرب:

- أحمد مكي (الطاهر): مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، المقدمة ص 1.4

2 -حنون(عبد المجيد): العرب والأدب المقارن، ص ص 91-92.

جاء الاهتمام بالمقارنة بين الأدب العربي وغير من الآداب الإسلامية، متأخرا إذا ما قورن بميلاد هذه الآداب الذي تلا مجيء الإسلام والفتوحات الإسلامية، ولم تكن هذه الآداب منعزلة عن بعضها نظرا لتوحد أصقاع الدولة الإسلامية، التي لم تتفكك إلى دول منفصلة إلا بعد سقوط الدولة العثمانية، مطلع القرن العشرين، وهذا أمر طبيعي لأن وجود الظاهرة سابق على ظهور العلم الذي يدرسها، وجاء متأخرا لأن الدراسات المقارنة عند العرب حديثة النشأة، لم تبدأ الظهور إلا في خمسينيات القرن العشرين، وكانت في مجملها مرتكزة على مقارنة الشعر العربي بالشعر الإفرنجي، والأدب العربي بالآداب الأوروبية.

أما الدعوة إلى مقارنة الأدب العربي بالآداب الإسلامية فظهرت بداية السبعينات من القرن الماض، في المشرق العربي وخاصة مصر، مع أمثال محمد عبد السلام كفافي[1] وطه ندا[2] وبديع جمعة[3] وحسين مجيب المصري[4]، وفيما بعد فيكتور الكك ويوسف بكار ، وتلتقي هذه الدراسات في **:« توجه مقارني واحد يبحث عن العلاقات الأدبية التاريخية بين الأدب العربي من جهة، وآداب شعوب إسلامية من جهة أخرى، وفق المنظور الفرنسي الذي يركز على الروابط التاريخية الثابتة، والأمر الذي يجعل أصحاب هذه الدعوة لا يختلفون منهجيا عن دعاة المقارنة مع الآداب الأوروبية»**[5]، والملاحظة الأولى على هذه الدراسات، أنها تتمحور حول الأدب العربي بوصفه مؤثرا، أو متأثرا؟ وهذا لأن منبع هذه الدراسات عربي، فلم تعرف لحد هذا الآن(السبعينيات) دراسات مقارنة إسلامية من أتراك أو فرس أو ألبان، الملاحظة الثانية هي تركيز أصحاب الدراسات على العلاقات التاريخية الأدبية للأدب العربي مع غيره من الآداب الإسلامية، فالمنهج هنا غير مستحدث لأنه لم يحد عن سبيل الدراسات المقارنة العربية التي قارنت الأدب العربي بالآداب الأوروبية مثلا، فهو منهج مقارن تاريخي (فرنسي)، يبحث في تاريخ العلاقات الأدبية، ويتأكد من الصلة التاريخية الوثيقة، ويقسم

---

- في كتابه" في الأدب المقارن" صادر عام 19711
- له كتاب " الأدب المقارن" وصدر عام 2.1973
- في كتابه" دراسات في الأدب المقارن" عام 3.1980
- له كتاب" في الأدب الشعبي الاسلامي المقارن وصدر عام 4.1980
5 - حنون(عبد المجيد): العرب والأدب المقارن، ص 89.

الآداب إلى مؤثرة ومتأثرة، وينظر في نتائج المبادلات الأدبية، مع تغيير وجهة المقارنة وهي الآداب التي يدين أصحابها بالإسلام من غير العرب.

وأخذت الدراسات المقارنة الإسلامية عند العرب توجها جديدا مع ثمانينيات القرن العشرين، يطلق عليه "توجه إسلامي في الأدب المقارن"، بداية مع **عدنان محمد وزان** بكتابه" ***مطالعات في الأدب المقارن"*** سنة 1983، أما كتابه : «**مفاده أن الإسلام والأدب المقارن يلتقيان في مبادئ وأهداف كثيرة كالالتزام ومحاربة التعصب القومي والعالمية**»[1]، طبعا الأدب المقارن منهج علمي ليس من شأنه محاربة التعصب والدعوة إلى مكارم الأخلاق، بل هو يدعو إلى دراسة الآداب في تعالقها مع الآداب الأخرى، دون التخلي عن فكرة القومية.

ثم جاء الطاهر أحمد مكي بكتاب"***مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن***"، وتضمن تعريفا للأدب الإسلامي المعني بالمقارنة، حيث حدده في كتابات المسلمين على اختلاف لغاتهم وأعراقه ولغاتهم، وتضمن الكتاب، مقدمة تاريخية عن انتشار الإسلام والفتوحات في إفريقيا وبلاد فارس وأوروبا، واللغات الإسلامية بداية بالعربية والفارسية والتركية، والأوردية وآداب جميعها، ويحمل التفاتة للأدب الألباني والأندونيسي، ثم تطرق إلى موضوعات الأدب الإسلامي المقارن: الموروث المشترك، والأخذ والعطاء بين الآداب الإسلامية في المجال الأدبي ثم الموروثات الشعبية.

## 4- موضوعات الأدب المقارن الإسلامي:

### *أ-الموروث الديني المشترك:*

أدى تمازج آداب الشعوب الإسلامية إلى ميلاد أشكال أدبية مشتركة، بين أدباء فرقتهم اللغة والعرق والبيئة سابقا، ومنها ما يتخذ من الإسلام مصدر الهام كأدب الصوفية ومرويات السنة النبوية والقصص المستمدة من التراث الإسلامي كحادثة كربلاء مثلا، وما يسمى بأدب الآخرة ، وكان **"المديح النبوي"** واحد من هذه الموضوعات :« **أمر تشترك فيه كل الشعوب الاسلامية، تلتقي عند الغاية، ونختلف في الوسيلة، يعبر الفانون عن إجلالهم**

---

- المرجع نفسه، ص 1.90

**للرسول، لكن هذا التعبير لا يجيء بمعزل عن مزاج الفنان فردا، وعن نمط البيئة جماعة، وعن تقاليد الفن الذي يتخذونه مركبا للتعبير عنا يريدون»**[1]، نشأ هذا الفن الشعري فبل وفاة الرسول (ص) من أشهر قصائد المديح كانت"بنت سعاد" لكعب بن زهير، وكانت تحمل؛ تعظيم للرسول(ص) ووضعه في مرتبة رفيعة، والتعبير عن المشاعر الجياشة، وتتضمن الحديث عن معجزاته، والتوسل به والشفاعة في الآخرة:« **قصائد عمودية، قصيرة طورا، وطويلة حينا، ومتوسطة في أغلب الأحيان، وقد تجئ معارضة لقصائد أخرى سبقت واشتهرت»**[2]، لكنه استمر بعد ذلك في كل العصور الموالية الأموي والعباسي، لكن بدرجة أقل، ثم عاد للظهور بقوة مع الحملات الصليبية، فقد كان وسلة لشحذ المشاعر وإيقاظ الهمم.

انتقل هذا الفن إلى مختلف البلاد الإسلامية، ومع مرور الزمن بدأت هذه القصائد تنشد في ذكرى مولد النبي(ص)، ومع الدولة الفاطمية تحديدا، حيث كان يجتمع القراء والفقهاء والشعراء، في أول أيام السنة الهجرية ويوم عاشوراء وليلة المولد النبوي الشريف، ومن مصر انتقل هذا التقليد إلى العراق، ثم إلى المغرب العربي والأندلس، كما ذكر ابن الخطيب:« **قصائد طويلة...مقدمة غزلية، وقد تتضمن أبياتا قليلة في مدح السلطان.....المعاني مكررة عند الشعراء»**[3]، وقد تشابهت قصائد المديح المولدية" تسمى المولديات" في كامل أسقاع الدولة الإسلامية في شكلها الفني، موضوعاتها، كما هي عند الأتراك وشاعرهم سليمان جلبي(1409)، وكذلك عند الألبان والشاعر حسن زيكو كامبيري ويوغسلافيا وحافظ إسلام، دائما قصائد طويلة تتحدث عن حياة النبي(ص) ومعجزاته، وتتوسل به الشفاعة، تنشد في ذكرى المولد والمناسبات الدينية، على نسق المديح العربي وقصائد المولد الفاطمية.

***ب-التاثير والتأثر بين آداب الشعوب الإسلامية:***

***العروض***: أصله في كامل البلاد الإسلامية عربي، يتكون من خمسة عشر بحرا بالاضافة إلى المتدارك، وقد نشأ العروض الفارسي محاكيا للعروض

- أحمد مكي (الطاهر): مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، ص 1.324
- المرجع نفسه، ص 2.325
- المرجع السابق، ص3.330

العربي، في دوائره وعروضه، لكن الأمر لا يخلو من أوجه اختلاف، فقد حاكا العروضيون الفرس عروض العربية في القافية، فأخذوا مصطلحاتها، وأكثروا من القافية المزدوجة التي يسمونها بـ"المثنوي"، التي كتبت بها الكثير من المنظومات الشعرية الفارسية كالشاهنامة ومثنوي جلال الدين الرومي، لكن العروض الفارسي نميز بابتكاره بحورا لم تعرفها العربية" الغريب والقريب والمشاكل"، ثم إجازتهم إضافة أجزاء في بعض البحور ذات الستة كالرمل، كما أنهم أكثروا النظم في بحور : المجتث والمضارع والمقتضب وهي بحور أقل فيها العرب، وأقلوا في بحور أحبها العرب: الطويل والكامل والمديد والوافر والبسيط، ومن الفارسية انتقل العروض العربي إلى باقي الآداب الإسلامية الأخرى.

***الموشحات***: هي شكل شعري مبتكر ظهر في القرن الهجري الثالث، ظهر في قرطبة من الأندلس أهم الوشاحين هم: ابن عبد ربه وعبادة القزاز وابن باجة، ترك الموشح أثر في اللغات والآداب المجاورة له خاصة والبرتغالية والكتالونية والايطالية والعبرية، أما في البلاد الاسلامية فكان أول انتقاله إلى المغرب العربي ثم مصر والشام ثم الفرس والأتراك الذين كتبوا فيه قصائد الرثاء.

وكان الصوفية هم من حملوا الموشحات شرقا وغربا ونقلوه إلى الآداب الإسلامية وكان أولهم ابن عربي، وانتقل إلى الأدب الفارسي عن طريقهم، مع بعض الابتكارات، كتكرار القفل في الموشح الفارسي، وتغييره كل مرة، وعدم الالتزام بالعدد المحدد من أبيات الدور كما هو في الموشح العربي، والتأكيد على ضرورة التصريع في المطلع الفارسي، والذي يكون أقرعا دائما.

***المقامات:***فن عربي مبتكر ظهر في العصر العباسي موضوعاته الكدية والاحتيال والخداع، أهم من كتب فيه كان بديع الزمان الهمداني والحريري، أول من نقلها إلى الفارسية كان ابن دريد، فكانت مقامات القاضي حميد الدين أبو بكر البلخي(560ه) أول المقامات الفارسية، أراد أن يناظر بها مقامات الحريري وبديع الزمان التي كانت أنموذج البلاغة في عصرها، وهكذا جاءت مقامات الفرس مناظرة لمقامات العرب، مع انها تختلف في أمر أنها متغيرة الراوي، والبطل فيها هو الراوي نفسه.

تمت ***(أ. حميدة سليوة)***